

## المشاهدات العيانية لأمية بن أبي الصلت الأندلسي (ت ٥٢٩هـ/١٣٤م) عن مصر في الرسالة المصرية

### Eyewitness Observations of Umayyah bin Abi Al-Salt Al- Andalusi (d. 529 AH/1134 AD) about Egypt in the Egyptian Message

أ. م. د. هديل يوسف محمود البارودي\*

أ. م. د. علياء هاشم ذنون المشهداني\*

**Dr. Hadeel Youssef Mahmoud Al-Baroudy**  
**Dr. Alyaa Hachem Dhanoun Al-Machehdany**

#### الملخص:

أمية بن عبدالعزيز المعروف بابن أبي الصلت (ت ٥٢٩هـ/١٣٤م) من أبناء الأندلس ومن مدينة دانية، رحل إلى المشرق رحلتين الأولى قد تكون في نهاية القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد والثانية كانت في بداية القرن الذي يليه وهو السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وصل في رحلته تلك إلى مصر، ودون الكثير من مشاهداته في مصر ومعايشته لأهلها في مؤلف أسماه الرسالة المصرية، وسنركز في بحثنا على ما قام بوصفه في تلك الرسالة مما شاهده بعينه ولم يخبره به أحد أو يقرأه في كتاب ما، وقد سجل أبو الصلت العديد من مشاهداته التي دلت على قوة ودقة ملاحظته واستخدام العديد من الإشارات الواضحة للدلالة على ما شاهده وعائنه سواءً في حديثه عن نهر النيل والآثار المصرية القديمة كالأهرام وطبيعة السكان واصفاً أدبائها وعلمائها في مختلف المجالات في الطب والهندسة والتنجيم والفلك، ولم يكتفِ بوصف مشاهداته عن ذلك وإنما قام أيضاً بإبداء رأيه لما شاهده ولاحظه عن بلاد مصر في مختلف الجوانب العلمية والجغرافية والتاريخية وذلك لما امتاز به من كونه عالم ماهر في علوم الأوائل.

الكلمات المفتاحية: بن أبي الصلت، الرسالة المصرية، نهر النيل، آثار مصر.

\* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: [dr.hadeel69@uomosul.edu.iq](mailto:dr.hadeel69@uomosul.edu.iq)

\* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

\* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: [alya\\_1972@uomosul.edu.iq](mailto:alya_1972@uomosul.edu.iq)

\* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

**Abstract:**

Umayyah bin Abdul Aziz, known as Ibn Abi al-Salt (d. 529 AH/1134 AD), was from Andalusia and the city of Dania. He traveled to the East on two trips, the first of which may have been at the end of the fifth century AH/eleventh century AD. The second was at the beginning of the following century, which was the sixth century AH/twelfth century AD. On his two trips, he arrived in Egypt, and recorded many of his observations in Egypt and his experience with its people in a book called "The Egyptian Message." We will focus in our research on what he described in that letter, which he saw with his own eyes and no one told him about it or read in a book. Abu Al-Salt recorded many of his observations demonstrated the strength and accuracy of his observation and the use of many clear signs to indicate what he saw and experienced, whether in his talk about the Nile River and ancient Egyptian antiquities such as the pyramids and the nature of the population, describing its writers and scholars in various fields of medicine, engineering, astrology and astronomy. He did not limit himself to describing his observations about that, but rather expressed his opinion on what he saw and observed about the country of Egypt in various scientific, geographical and historical aspects, due to his distinction of being a skilled scholar in the early sciences.

**Keywords: Ibn Abi Al-Salt, Egyptian message, Nile River, Antiquities of Egypt.**

**المقدمة:**

أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت من أهالي مدينة دانية (Denia) في شرق الأندلس ولد فيها سنة (٤٦٠ هـ/١٠٦٨ م)، ولم تسعفنا المصادر التاريخية وكتب التراجم التي ترجمت له وأوردت بعضاً من أخباره بمعلومات وافية عنه وأسرته، له ابن اسمه عبد العزيز، والذي سار على درب والده بالاهتمام بالشعر والأدب ولهذا وصف من قبل المؤرخين بأنه كان شاعراً مجيداً، وله في الشطرنج يد بيضاء<sup>(٣)</sup>. نشأ ابن أبي الصلت في مسقط رأسه مدينة دانية ودرس بها علوم اللغة العربية التي أخذها القاضي هشام بن أحمد بن هشام الكنائي أبو الوليد (٤٠٨-٤٨٨ هـ/١٠١٧-١٠٩٥ م) كما حرص على دراسة علوم أخرى منها الطب والفلك<sup>(٤)</sup>، وقد رحل إلى مدينة اشبيلية وبقي بها على ما يذكره بعض المؤرخين عشرين عام ولذا لقب بالاشبيلي<sup>(٥)</sup>.

وكان لابن أبي الصلت رحلة إلى مصر وقام بتدوين شذرات من رحلته تلك والتي وصلتنا باسم الرسالة المصرية، ويبدو أنه للأثر الذي تركته مصر في نفسه كان دافعاً له لتدوين عددًا من مشاهداته فيها، ويبدو

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٢٤٦/١؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء : ٧٤٠/٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء ٧٤٠/٢.

(٥) المقري، نفع الطيب: ١٠٥/٢؛ ابن سعيد المغربي، المغرب: ٢٦١ / ١.

أنه تطرّق إلى ما وجده مختلفاً عن موطنه الأندلس، وكان ذلك دافعاً للبحث في الرسالة المصرية وإلقاء الضوء على ما قدمه ابن أبي الصلت عن مشاهداته العيانية في مصر، وكانت الرسالة المصرية هي المصدر والمعين الرئيسي لهذا البحث والذي تطرقنا فيه إلى ملايسات رحلة ابن أبي الصلت إلى مصر وثم منهجه في الرسالة المصرية، وذلك قبل التطرق إلى عرض مشاهداته العيانية والتي تركزت على الجوانب الاجتماعية بحكم معاشته للمصريين وجغرافيتها والذي أخذ نهر النيل الحيز الأكبر منها، وما تطرق إلى ذكره عن الآثار المصرية القديمة التي كانت ومازالت ماثراً اعجاب للناس.

### رحلة ابن أبي الصلت:

رحل أبو الصلت خارج الأندلس برفقة والدته إلى مصر<sup>(٦)</sup>، وقبل ان يصلها بقي ردها من الوقت في مدينة المهديّة شمال المغرب<sup>(٧)</sup>، وقد اختلف المؤرخون في السنة التي رحل فيها إلى مصر، ذكر ابن خلكان<sup>(٨)</sup> بأن رحلته سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) بينما ذكر المقرئ<sup>(٩)</sup> سنة (٤٩٦هـ/١٠٧٦م) وابن أبي اصيبعة<sup>(١٠)</sup> ذكر سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)، وعليه ربما كان لابن أبي الصلت رحلتين إلى مصر الأولى سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) عندما رحل من الأندلس إلى مصر في عهد الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي<sup>(١١)</sup>.

والرحلة الثانية لابن الصلت كانت من المغرب إلى مصر سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)<sup>(١٢)</sup>، بعد وفاة أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بأسفاره إلى الخليفة الفاطمي<sup>(١٣)</sup> وقد تعدد أسباب رحلة أبو الصلت إلى مصر منها ما ذكره أبو الصلت في مطلع كتابه الرسالة المصرية المتمثل في الوضع الذي تعيشه الأندلس آنذاك في عصر دويلات الطوائف وسقوط إحدى حواضرها مدينة طليطلة سنة (٤٧٨هـ-١٠٩٤م) بقوله " واضطرتت إلى مفارقة الوطن، والخروج عن العطن، فتماسكت إشفافاً من مفارقة أول أرض مس جلدي ترابها، وشدت على التمام بها وجاءت أمور لا تطاق كبار، فلما لم يمكن القرار، ولم

(٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٤٣/١.

(٧) ابن سعيد، المغرب، ٢٦٢/١؛ المقرئ، نفح الطيب: ١٠٥/٢.

(٨) وفيات الاعيان: ٢٤٣/١.

(٩) المقرئ: ٢٩٧/٢.

(١٠) عيون الانباء، ص ٥٠١.

(١١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٣٨/٥.

(١٢) عيون الانباء، ص ٥٠١.

(١٣) ابن سعيد، المغرب، ١٦٢/١.

يقيق إلا الفرار " (١٤) السبب الثاني المتمثل في العامل الاقتصادي فقد كان ابن أبي الصلت يؤمل بالعيش الرغيد والثراء والغنى في مصر وهذا ما أشار إليه في كتابة الرسالة المصرية (١٥) بقوله "ليس لي غير مصر مقصدًا ولا وراءها مذهب ولا دونها للغنى مطلب".

### ابن أبي الصلت في مصر:

قبل مغادرة ابن أبي الصلت الأندلس إستقرأ البلاد باحثًا عن أفضلها للمقام والعيش فيها، مستأنسًا بالقول الشعبي الدارج " ليس بين بلد وبلد نسب فخير البلاد ما حملك" (١٦)، وكانت مصر اختيار ابن أبي الصلت، قدم إليها في فترة حكم الفاطميين، مؤملًا في العيش الرغيد والثراء والغنى والاستقرار (١٧)، لكنه لم يفز بشيء مما كان يؤمل به ونالته خيبة أمل (١٨)، عبر عنها في شعره الآتي: (١٩)

وكم تمنيت أن ألقى بها أحدًا  
يسلى من الهم أو يعدى على النوب  
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا  
كانت مواعيدهم كالآل في الكذب  
وكان لي سبب قد كنت أحسبني  
أحظى به فإذا دائي من السبب  
فما مقلم أظفاري سوي قلمي  
ولا كتائب من السبب

تمكن أبو الصلت بفصاحة لسانه وتميزه بعلمي الفلك والطب من التعرف على مختار تاج المعالي وهو من المقربين من الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر ومن خواصه، والذي بدوره قربه من الوزير الأفضل بحيث أصبح من حاشيته، فبرزت شخصية ابن أبي الصلت بعلمه الواسع وخدماته الجليلة التي قدمها للأفضل وذاعت شهرته بكونه عالم موسوعي أديب فاضل حكيم منجم فالفتت إليه الأنظار من الأصدقاء والحساد الذين تمكنوا من حبك الدسائس للإيقاع به وأغروا به صدر الوزير الأفضل الجمالي على كاتبه تاج المعالي فاعتقله واعتقل أيضًا ابن أبي الصلت بما اختلق له من دسائس فحبسه في خزانة للكتب (٢٠)

(١٤) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١١.

(١٥) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٢.

(١٦) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٢.

(١٧) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٤.

(١٨) القفطي، اخبار العلماء، ص ٦٦.

(١٩) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٣.

(٢٠) المقري، نفع الطيب: ١٥/٢٠.

لمدة ثلاث سنوات وشهر<sup>(٢١)</sup>، صنف خلال هذه الفترة العديد من مؤلفاته منها رسالة العمل بالاسطرلاب<sup>(٢٢)</sup> وكتاب الوجيز في علم الهيئة وكتاب الأدوية المفردة وكتاب تقويم الذهن وكتاب الانتصار في الرد على بن رضوان في رده على حسين بن إسحاق في مسأله<sup>(٢٣)</sup>.

وهناك قول آخر حول حبس ابن أبي الصلت ذكرها ابن أبي أصيبعة مفادها أن ابن أبي الصلت رجع إلى مصر في حدود سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)، وسجن في مدينة الاسكندرية بسبب إخفاقه في انتشال مركب محمل بالنحاس في عمق البحر المتوسط إذا اقترح على الأفضل بن أمير الجيوش بابتكاره وتصميمة رافعة والآت بأشكال هندسية مختلفة لرفع المركب بما يحويه من النحاس، وما ان هياً له ما يحتاج من الآلات والحبال المصنوعة من البريسم لربط المركب بدواليب من قبل الغواصين، لكنه ما أن ارتفع المركب وأصبح قريباً من سطح الماء حتى انقطعت الحبال وهبط المركب مرة ثانية إلى قاع البحر، لذلك قبض عليه أمير الجيوش وحبسه وغرمه الأموال التي صرفت على صنع الآلات وبقي في الاعتقال مدة إلى أن شفع له بعض الأعيان وأطلق سراحه في خلافة الأمر بأحكام الله<sup>(٢٤)</sup>، واستشهد بهذه الأبيات الشعرية في وصفه<sup>(٢٥)</sup>:

ليعدل عندي ذا الجناح جناب	فلم استسغ إلا نداءه ولم يكن
وأن هطلت منه علي سحاب	فما كل أنعام يخف احتماله
ولم يأت باب دونه وحجاب	ولكن أجل الصنع ما
على أن رأيي في هواك صواب	وما شئت إلا أن أدل عواذل
وغربت أني قد طفرت وخابوا	وأعلم قوما خالفوني وشرقوا

على أية حال غادر ابن أبي الصلت مصر والتجئ إلى مدينة المهديّة حيث توفرت له الفرصة للقاء حاكمها آنذاك الأمير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي<sup>(٢٦)</sup>. وأصبح من جملة علماء وشعراء

(٢١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء : ٧٤٠/٢.

(٢٢) توجد نسخة مخطوطة من رسالة في العمل بالاسطرلاب في برلين وليون وبودليان :ابن ابي الصلت، الرسالة المصرية ، ص ٩.

(٢٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٤٧/١.

(٢٤) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٠١؛ المقرئ، المقفى: ٢٩٧-٢٩٨.

(٢٥) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص ١٤.

(٢٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٢٤٦/١.

مجلسه لما يتمتع به من مكانة علمية متميزة<sup>(٢٧)</sup>. وقد اشاد ابن أبي الصلت بما حضى به من حسن الضيافة والاكرام من قبل الامير يحيى بن تميم بقوله: "لم تنزل حضرته مصاد لعناة ومراد العفاة، ومجتمع الفضائل، ومنتجع الأفاضل، ومشروع الجود، ومشعر الوفود. فلما استترت بجناحه، واستظهرت باستماحه، أعذب لي بسماحة الدهر جناه"<sup>(٢٨)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنّ حياة ابن أبي الصلت قد تحسنت في كنف الأمير يحيى بن تميم وعبر عن ذلك بقوله: " والت روي اليه من اشراقها بعد الاقول وابراقها بعد الذبول"<sup>(٢٩)</sup> وعندئذ انصرف ابن أبي الصلت إلى الاهتمام بالتأليف ومنها كتابه الرسالة المصرية موضوع دراستنا في هذا البحث اضافة لاهتمامه بالموسيقى الأندلسية وتلحين الاغاني التونسية وفق النغم الأندلسي<sup>(٣٠)</sup>.

ولما توفي الأمير يحيى بن تميم سنة (٥٠٩هـ/ م) استمرت حظوة ابن أبي الصلت لدى ابنه أبي الحسن علي<sup>(٣١)</sup> ولف له كتابه الحديقة او ما يسمى حديقة الادب<sup>(٣٢)</sup> على غرار اسلوب كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وله ايضاً قصائد ومدائح للأمير أبي الحسن علي وابنه الحسن بن علي ومنها قوله:

وارغب بنفسك إلا عن ندى ووغى فالمجد اجمع بين البأس والجود<sup>(٣٣)</sup>

### منهج ابن أبي الصلت في كتابة الرسالة المصرية:

إن الثقافة المتنوعة التي اكتسبها ابن أبي الصلت برزت بصورة واضحة في مؤلفاته وقصائده والتي تعد المحصول العلمي الذي حصل عليه خلال دراسته منذ نعومة اظفاره على يد الشيوخ في الأندلس ورحلته إلى مصر، ومن ثم استقراره في مدينة المهديّة في حضوة الأمير يحيى بن هيثم بن المعز الصنهاجي الذي عرف عنه بكونه كثير المطالعة لكتب الاخبار والسير عارفاً بها اضافة إلى اهتمامه بعلم النجوم والاحكام<sup>(٣٤)</sup>.

(٢٧) الاibar التكملة، ص٢٤٣، ترجمة ٥٣٩.

(٢٨) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص١٣-١٤.

(٢٩) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص١٤.

(٣٠) ابن سعيد، المغرب: ١/١٤٦؛ المقري، نفح الطيب: ٢/١٠٥.

(٣١) المقري، نفح الطيب: ٢/١٠٦.

(٣٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص٥١٤/٤٧٢.

(٣٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٦/٢١١.

(٣٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٦/٢١١.

وفي المهدية وفي كنف ابن المعز الصنهاجي كتب ابن أبي الصلت الرسالة المصرية، وأهداه لابن المعز، تتميز الرسالة المصرية بالقيمة العلمية الكبيرة لكون المؤلف لم يعتمد في تأليفها على النقل فقط بل على الملاحظة والمشاهدة الشخصية، فكان شاهد عيان لأغلب ما دونه عن مصر فيها، وهذا ما وضحه في مقدمته بقوله: "وصف ما عانيته من أرض مصر وعانيته، والاقتصار على الذي رأيته دون ما رويته، فليس من يقول: علمت هذا من طريق العلم والسماع، كمن يقول تحققته بالمشاهدة والاطلاع"<sup>(٣٥)</sup>.

ولذا نالت الرسالة المصرية مكانة مهمة في الأوساط العلمية لكون الأديب أبو الصلت شاهد عيان لأغلب ما دونه عن كتاب مصر بمختلف جوانبها الشخصية وثقافتها الموسوعية فهو كما وصف أديباً فاضلاً حكيماً منجماً إضافة إلى تميزه في دقة الملاحظة والوصف واتباع الأسلوب العلمي والتحليل الدقيق في تفسيره لمشاهداته ونقده لبعض علم الطب والفلك في عصره مقارنةً إياهم بالعلماء السابقين له.

أظهر ابن أبي الصلت مهارة فائقة في صياغة عبارات الرسالة المصرية بأسلوبه الغالب عليه السجع بشكل ممتع يوحي بتفوقه الأدبي وكثيراً ما استعان بالأبيات الشعرية التي نظمها إضافة للقوائد التي اقتبسها من الشعراء السابقين لعصره.

فضلاً عن استعانه بالأمثال الشعبية المصرية كقوله: "إذا دخل أبيب كان الماء ديبب"<sup>(٣٦)</sup>

لم يقسم ابن أبي الصلت الرسالة المصرية إلى مقالات أو فصول وإنما ابتدأها بموقع بلاد مصر وحدودها في عصره وأبرز مدنها وعواصمها على مر العصور التاريخية السابقة، ثم تحدث عن صفات نهر النيل وزيادة مياهه وفيضانه وذكر آثار مصر وعجائب الأهرامات، ومن الناحية الاجتماعية تحدث عن طبائع أهل مصر وعاداتهم وأخلاقهم كما ضمنها تراجم وانتقادات لبعض علماء الطب والفلك والأدب.

### مشاهدات ابن أبي الصلت ودقة ملاحظاته:

تعدّ المشاهدة والمعينة والملاحظة الدقيقة والانطباعات الشخصية التي سجلها ابن أبي الصلت في الرسالة المصرية عن مصر السبب الرئيسي لكتابه لها، وقد وضح في المقدمة أنه اعتمد على ما عاينه وشاهده عن مصر بقوله: "الاقتصار على الذي رأيته دون ما رويته فليس من يقول علمت هذا من

(٣٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٣٦) الذراع المصرية التي يبلغ متوسط طولها ٧٧,٥ سم: هنتس، المكابيل والاوزان، ص ٩٠-٩١.

طريق العلم والسماع كمن يقول تحققته بالمشاهدة والاطلاع<sup>(٣٧)</sup>، وقد سجل ابن أبي الصلت العديد من مشاهداته التي تدل على قوة و دقة ملاحظته واستخدم العديد من الاشارات الواضحة للدلالة على ما شاهده وعابنه، سواء في حديثه عن نهر النيل والآثار المصرية القديمة كالأهرام وطبيعة السكان واصفاً وأدباءها وعلماءها في مختلف المجالات في الطب والهندسة التنجيم والفلك.

من الطبيعي أن يبدأ ابن أبي الصلت الرسالة المصرية في ذكر موقع مصر في المعمورة معتمداً في ذلك على ماسمعه من المهتمين بتاريخ مصر وبيئتها وإلى ما شاهده بنفسه محاولاً تحليل الظواهر التي يشاهدها ، بين حدود مصر وعدد مدنها الحدودية بينها وبين الاقاليم المجاورة<sup>(٣٨)</sup>. أما بالنسبة لنهر النيل الذي اهتم به كثيراً، ذكر منبعه وفيضانه وحدد أنّ منبعه من وراء خط الاستواء من جبل يعرف بجبل القمر ويبدأ الماء فيه بالتزايد في شهر أبيب مقارناً مع ما يقابلها بالرومية شهر يولية، وأوضح مقدار فيض نهر النيل ثمانية عشر ذراع<sup>(٣٩)</sup>، معللاً زيادته لمروره بنقائع مياه أجنة، ووصف مصر في وقت الفيضان " كأنما بحرًا غامراً لما بين الجبلين المكتنفين لها<sup>(٤٠)</sup>.

ووصف ابو الصلت نهر النيل بقصيدة قدمها للأفضل في ليلة المهرجان بقوله:

أبدعت للناس منظرًا عجا

لازلت تحيي السرور والطربا

الفت بين الضدين مقتدرا

فمن رأى الماء خالط الهببا

كأنما النيل والشموع به

أفق سماء تألقت شهببا

قد كان من فضاة فصار سما

وتحسب النار فوقه ذهببا<sup>(٤١)</sup>

(٣٧) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٣٨) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٣٩) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٤٠) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٠.

(٤١) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٢.



وتكون أرض مصر في وقت الفيضان أحسن شيء منظرًا ولا سيما منتزهاتها المشهورة ودياراتها المطروقة كالجزيرة وبركة الحبش، التي زارها برفقة زملائه ويقول عن ذلك: " افترشنا من زهرها أحسن بساط واستظلنا من دوحها بأوفى رواق وطلعت علينا من زجاجات الاقداح شمس في خلع البدر " (٤٢) وكتب في وصف بركة الحبش:

لله يومي ببركة الحبش  
والأفق بين الضياء والغبش  
والنيل تحت الرياح مضطرب  
كصارم في يمين مرتعش  
قد نسجتها يد الغمام لنا فنحن  
من نسجها على فرش (٤٣)

وأشاد ابن أبي الصلت بطائفة من أهل مصر ممن لهم عناية بالمعارف والعلوم وخاصة علمي الهندسة والفلك، لما خلفوه من الأشغال البديعة المعجزة كالأهرام والمعابد المصرية القديمة التي أسماها بالبرابي (٤٤) بقوله عنها: "من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واستعجزت الأفكار الراجحة وتركت لها شغلاً بالتعجب منها والتفكير فيها" (٤٥).

وبرزت معرفة ابن أبي الصلت بعلم الهندسة والرياضيات في إشادته وتعجبه من عظمة بناء الأهرام، وألقى الضوء على الدقة المتناهية في بناءها وأحكام صناعتها وهندستها وشكلها المخروطي، متناغمًا ذلك مع قياسات دقيقة ومتساوية لأبعاد البناء، مربع القاعدة مخروطي الشكل ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراع يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراع، وأشار أيضًا إلى نوعية الحجارة التي استخدمت في بناء الأهرام، وعدّ الأهرامات من عجائب الدنيا بقوله عنها: " من أعجب وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته من القدرة على بناء جسيم جسيم" (٤٦)،

(٤٢) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٠.

(٤٣) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢١.

(٤٤) هي كلمة باللغة القبطية وتعني أماكن العبادة المقدسة: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣٦٢/١.

(٤٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٥.

(٤٦) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٦.

وعند زيارة ابن أبي الصلت لمدينة الفسطاط شاهد الهرمين المحاذيين لها من الجانب الغربي، ووصف بتعجب أحكام وانتقان هندستهما لكونهما في غاية من حسن التقدير والبناء بحيث لم يتأثر بنيانهما بالظروف الجوية والمناخية التي مرت عليهما مع قدم وقت بنائهم<sup>(٤٧)</sup>، كما لاحظ ابن أبي الصلت الكتابات الهيروغليفية الموجودة على سطوح هذه الأهرام من أعلى الهرم إلى الأسفل بسطور متضايقة متوازية من كتابه وذكر عدم المعرفة باللغة والحرف الذي كتبت بهم ولذا لا يستطيع توضيح معاني المكتوب<sup>(٤٨)</sup>.

ومن ضمن مشاهدات ابن أبي الصلت المعابد المصرية القديمة، مثل إخميم وسمنود وندرا، ومما أعجبه فيها بعد أحكام عمارتها النقوش والرسومات التي كانت عليها والتي بها إشارات إلى معرفة المصريين القدماء بعلم الفلك<sup>(٤٩)</sup>، دون أن يهتم بالروايات والخرافات السائدة على الألسنة العامة، والمسطرة في بعض كتب الجغرافية والرحلات عن تلك الأهرامات والمعابد كما ورد مثلاً لدى غيره ممن ذكرها<sup>(٥٠)</sup>.

### آراء ابن أبي الصلت فيما شاهده:

من السمات الأساسية لمنهج أمية بن أبي الصلت في كتابة الرسالة المصرية إبداء رأيه لما شاهده ولاحظه عن مصر في مختلف الجوانب العلمية والجغرافية والتاريخية، وساعده على ذلك لما امتاز به من كونه عالم ماهر في علوم الأوائل رئيساً في معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى والطبيعي والرياضي الإلهي<sup>(٥١)</sup>، فمن الناحية الجغرافية تحدث عن نهر النيل من منبعه من وراء خط الإستواء من جبل يعرف بجبل القمر وأهم ما يتميز به من زيادة مياهه مبيئاً السبب في ذلك: " مروره بنقائع أجنة يخالطها فيجتلبها ويستخرجها معه ويصطحبها "<sup>(٥٢)</sup>.

وعند زيارته للأهرام التي تعد من أبرز الملامح الأثرية لبلاد مصر بين رأيه فيها بقوله عنها: "وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدرات الله ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسم من أعظم الحجارة"<sup>(٥٣)</sup>، والوصف الدقيق الذي قدمه ابن أبي الصلت للأهرام يبين مدى إعجابه بها ولإيمانه بقدرة الباري عز

(٤٧) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٦.

(٤٨) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٨.

(٤٩) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٩.

(٥٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/١٢٤، ٣٦٢.

(٥١) السيوطي، حسن المحاضرة: ١/٥٣٩.

(٥٢) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٧.

(٥٣) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٥.

وجل في خلقه ومصنوعاته عدها بعد مقدرات الله تعالى، وأدرك أن من بناها لديه قدرات عظيمة علمياً وبدنياً، لذا أشاد بالعقول التي أنتجت تلك المباني وأشار أن أصحابها لأبد وأنه كانت لهم معرفة علمية بالهندسة والفلك فضلاً عن مهارات البناء بقوله: " من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واستعجزت الأفكار الراجحة وتركت لها شغلاً بالتعجب منها والتفكير فيها" <sup>(٥٤)</sup>، لهذا عدها ابن أبي الصلت بأنها في غاية الحسن والتقدير ولهذا لم تتأثر بعوامل الزمن مع عمقها في التاريخ وما صاحبه من أحوال جغرافية كالرياح والأمطار والأهوال كالزلازل والأعاصير <sup>(٥٥)</sup>.

كما كان لابن أبي الصلت آراء خاصة قدمها لأطباء مصر تبعاً لمشاهداته في ممارستهم للطب، وأهله لذلك كونه طبيباً <sup>(٥٦)</sup>، قدم رأيه ونصائحه لهم حتى يتقنون مهنتهم ويحصلون على المهارة التامة بها. جانب من تلك النصائح تتعلق بالصفات الشخصية للطبيب بأن يكون حكيماً وفاضلاً، وبجانب آخر أشار لهم إلى التكامل بين العلوم وأن يكون له معرفة أيضاً بالعلوم الرياضية والفلك <sup>(٥٧)</sup>.

وأكد لهم أيضاً إلى ضرورة الالتفات إلى العلاج النفسي وإدراك أهميته، حتى أنه رأى على الطبيب أن تكون له معرفة بالموسيقى لما لها من تأثير نفسي على المريض <sup>(٥٨)</sup>، وكمثال على أهمية الانتباه إلى الجانب النفسي أورد ابن أبي الصلت رواية عن قيام حكواتي بعلاج شخص مريض بسرده له الحكايات المضحكة والقصص المسلية وتؤدي ذلك إلى انشراح صدر المريض وتعود إليه قوته وصحته <sup>(٥٩)</sup>. إزاء ذلك نصح ابن أبي الصلت الأطباء بأن يولوا الجانب النفسي عناية كبيرة باعتباره باباً للشفاء بقوله: " ليت أطباء عصرنا هذا بأسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذي لا مضرة فيه ولا غائلة له بل أمره على العليل هين ونفعه ظاهر بين كيف وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ويقوي القوى الطبيعية ويقوي البدن على دفع الأخلاط الروية المؤذية والفضول مع الاستظهار لحفظ الأصول" وأورد أمثلة عن قدماء أطباء مصر بالترجمة لهم من أمثال هرمس الثالث وديو فنطس من الذين أكدوا على الجانب النفسي في علاج المريض وأبدى إعجابه بهم <sup>(٦٠)</sup>.

(٥٤) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٥.

(٥٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٦.

(٥٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء: ٧٤٠/٢.

(٥٧) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٢.

(٥٨) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٢.

(٥٩) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٤.

(٦٠) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٤.

وأن سعة اطلاع ابن أبي الصلت بمؤلفات الأطباء اليونانيين من أمثال جالينوس وسقراط ودراسته وتمحيصه لما ورد فيها دفعه ذلك مجالسة أطباء مصر ومذاكرتهم بمعرفته الطبية ليستفيد من علمهم، إلا أنه لم يجد غير قوم طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم وطمس أفهامهم وحال بين الحكمة وبينهم<sup>(٦١)</sup> فكانوا كما قال الشاعر:

قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتُهُمْ

صَدَّتْ بِقُرْبِهِمُ الْعُقُولُ

لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ

وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ<sup>(٦٢)</sup>

وتماشياً مع ذلك انتقد المشتغلين في علم الطب ممن عاصروهم فضلاً عن ذلك بين أبو الصلت رأيه في المنجمين وأن معرفتهم بالجدول الفلكية الزايجة قليلة جداً بحيث تقتصر على ظاهر العلوم دون دقائق تفاصيلها وأسبابها وعلل ذلك بقوله عنهم، لا يتعلق منهم أحد في علم النجوم بأكثر من زايجة يرسمها ومراكز يقومها فأما الإمعان والتبحر في معرفة الأسباب والعلل، والمبادئ الأولى فليس منهم من يرقى إلى هذه الدرجة ويسمو إلى هذه المرتبة ولا يخلق في هذا الجو ويستضيئ بهذا الضوء إلا أبو الحسن علي ابن النضر<sup>(٦٣)</sup>.

ويعود سبب الرؤية السلبية للأديب ابن الصلت للمنجمين في مصر لملاحظته بعض من يزاول هذه المهنة وعلمهم بها لا يتعدى القشور دون اللب، والظواهر دون البواطن والأشباح دون الأرواح<sup>(٦٤)</sup>. ومع ذلك لاحظ ابن أبي الصلت أن المصريين من أكثر الناس تصديقاً بأقوال المنجمين والعرافين وهو شاهد وتعجب من سلوك البعض منهم، وأورد مثلاً لأحد المنجمين كان محبوباً وصدراً أمر باطلاق سراحه وعندما جاء إليه السجن وطلب منه مغادرة السجن رفض ذلك لأن تلك الساعة كانت ساعة نحس وطالعتها سيء حسب اعتقاده<sup>(٦٥)</sup> فكانوا يلجأون إلى من يعمل بهذه المهنة من أمثال رزق الله بن بقوله عنهم: فقد دثر

(٦١) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣١.

(٦٢) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣١.

(٦٣) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٧-٣٨.

(٦٤) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٨.

(٦٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٩-٤٠.

منها كل علم وأمحي رسمه وجهل اسمه ولم يبق إلا رعاغ وغثاء وجهلة دهاء وعامة عمياء وجلهم أهل رعانة ولهم خبرة في الكيد والمكر<sup>(٦٦)</sup>.

## الخاتمة:

تعد رحلة ابن أبي الصلت إلى مصر من الرحلات المهمة في التاريخ الأندلسي لأنها تختلف عن الرحلات الأخرى المشهورة لأندلسيين إلى المشرق كرحلة ابن جبير، كانت الظروف الداعية إليها شخصية ترتبط بسير حياة ابن أبي الصلت نفسه، ولكن شخصيته العلمية بقيت حاضرة معه في مصر، فرضت عليه أن يدون بعضًا مما شاهده وعائشه في رحلته والذي كان مغايرًا عما موجود في موطنه الأندلس. فترك لنا الرسالة المصرية وهي بالرغم من حجمها الصغير إلا أنها على درجة كبيرة من الأهمية لأنها قدمت لنا انطباعات أندلسي عن مصر، وسردًا عن مشاهدات عيانية وبهذا تعد وثيقة تاريخية مهمة يستفاد منها الباحثين في تاريخ مصر في عصر ابن أبي الصلت والباحثين في تاريخ الأندلس من خلالها يتم تلمس الخيط الرابط بين الأندلس والمشرق والذي لم ينقطع مع اختلاف العصور وبرغم كل التقلبات السياسية وتغير السلطات الحاكمة، ومازال هناك المزيد في الرسالة المصرية مما يستحق البحث بشكل معمق وتناوله بالدراسة والتحليل.

## قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠ م)
- ١\_ التكملة لكتاب الصلة. عني بنشره وصححه عزت العطار الحسيني. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.
  - ٢\_ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت. ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢ م).
  - ٣\_ كتاب الصلة. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦.
  - ٤\_ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: دار الكتب. ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م).
  - ابن خلكان، احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢ م).

(٦٦) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص ٣٠-٣١.

- ٥\_ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. تحقيق احسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.
- ابن سعيد، المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
- ٦\_ المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)
- ٧\_ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. مصر، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧.
- ابن أبي الصلت، امية بن عبدالعزيز (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)
- ٨\_ الرسالة المصرية. مطبوع ضمن كتاب نوارد المخطوطات. تحقيق عبدالسلام هارون. مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٢.
- القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).
- ٩\_ اخبار العلماء باخبار الحكماء. تحقيق ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.
- المقري، احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
- ١٠\_ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧.
- المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٠م)
- ١١\_ المقفى الكبير. تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٦.
- هنز، فالتر
- ١٢\_ المكابيل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري. ترجمة كامل العسلي، عمان، مطبعة القوات المسلحة الاردنية، ١٩٧٩.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
- ١٣\_ معجم الادباء. تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٣.
- ١٤\_ معجم البلدان. بيروت، دار صادر، ١٩٩٥.